

الإحسان إلى (المريض)



www.balagh.com

1- الإحسان إلى (المريض) في القرآن الكريم: أ- إصطحابه إلى الطبيب أو المستشفى للعلاج: قال تعالى في دعوة أَيُّوب (ع) للتداوي: (اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) (ص/ 42). ب- تصبيره ودعوته للتحمّل، وتأميشه بالشفاء والعاافية، وأنّ مرضه كفارة لذنبه، وأنّه به يتذوق طعم الصحة فيشكر الله عليها، وأنّه سيخرج من أزمته الصحية بإذن الله أَمْعَافِي مُشافى: قال سبحانه في عبده أَيُّوب (ع) المُبْتلى بالمرض: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلَابٌ) (ص/ 44). ت- الدعاء له بالشفاء والعاافية، وسؤال الله خالق العافية ورازقها أن يمنّ عليه وعلى جميع المرضى بالشفاء: قال عزّ وجلّ في دعاء أَيُّوب (ع) عند مرضه: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَ رَبَّهُ أَنْزَلَنِي مَسَّنِيَ الصُّرُّ وَأَرْتَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) (الأنبياء/ 83). ث- إعفاؤه من المسؤوليات أو التكاليف التي كانت بعاتقه أيام صحته، وإجازته حتى يتمثل للشفاء ويستردّ عافيته: قال جلّ جلاله: (وَلَا عَلَى الْمَرْيِضِ حَرَاجٌ) (الفتح/ 17). 2- الإحسان إلى (المريض) في الأحاديث والروايات: أ- الدعاء للمريض، ودعاء المريض إلى نفسه: قال رسول الله (ص): "سَلُّوا اللهَ الدّعاءَ وَحْدَهُ كَفِيَ اللَّهُ شَفَاءً مِنَ الْمَرْيِضِ حَرَاجٌ". ب- التداوي بما هو مُتاح من الدواء، فليس الدّعاءُ وحدهُ كافيًّا للشفاء من المرض، ولقد لاحظنا كيفًّا أنّ الله أَيُّوب (ع) أن يركض برجله إلى المُغتسَل والشراب، ولم يكتفِ منه بدعائه: قال (ص): "إِنَّمَا أَنْزَلَ الداءَ وَالدواءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ داءٍ دُوَاءً فَتَداوَوْا، وَلَا تَتَداوَوْا بِحرَامٍ". ت- تطبيباً

لخاطر المريض وتحفيقاً لعلّته، يُستحسن تذكيره أنّ مرضه يحظر من ذنبه ويُكفر بعده سبّاته: فلقد عاد (زار) النبي (ص) (أمّ العلاء) وهي مريضة، فقال لها: "يا أمّ العلاء، أبشرني، فإنّ مرض المسلم يُذهب به خطایاه كما تُذهب النارُ خُبث الحديث والفضّة". وعنـه (ص): "المريض تحاثٌ (تنساقـ) خطایاه كما يتحاث ورق الشجر". ثـ- إفـاءـهـ منـ المـهـامـ التيـ كـانـتـ بـذـمـتـهـ أـيـامـ صـحـّـتهـ،ـ فـلـوـ مـرـضـ الـخـادـمـ أـوـ الـموظـفـ أـوـ الـعـاـمـلـ أـوـ مـنـ هـوـ تـحـتـ يـدـيـكـ،ـ فـمـنـ الإـحـسانـ لـهـ أـنـ تـجـيزـهـ (ـتـعـطـيهـ إـجـازـةـ)ـ يـسـتـرـجـعـ فـيـهاـ عـافـيـتـهـ،ـ وـمـنـ الإـحـسانـ إـلـيـهـ أـنـ لـاـ تـقـطـعـ أـجـرـهـ فـيـ مـرـضـهـ:ـ يـقـولـ إـلـيـهـ مـوـسـىـ بـنـ جـعـفـرـ (ع)ـ:ـ "إـذـاـ مـرـضـ الـمـؤـمـنـ أـوـ حـسـنـ اـهـ عـزـ"ـ وـجـلـ إـلـىـ صـاحـبـ الشـمـالـ (ـالـمـلـأـكـ الـمـوـكـلـ بـتـسـجـيلـ الـذـنـوبـ)ـ:ـ لـاـ تـكـتبـ عـلـىـ عـبـدـيـ ماـ دـامـ فـيـ حـبـسـيـ وـوـثـقـيـ ذـنـبـاـ"ـ،ـ وـيـوحـيـ إـلـىـ صـاحـبـ الـيـمـينـ (ـالـمـلـأـكـ الـمـوـكـلـ بـتـسـجـيلـ الـحـسـنـاتـ)ـ أـنـ أـكـتـبـ لـعـبـدـيـ مـاـ كـنـتـ تـكـتبـهـ مـنـ صـحـّـتـهـ مـنـ الـحـسـنـاتـ"ـ!ـ جـ-ـ تـعـلـيمـهـ أـنـ كـتـمـانـ الـمـرـضـ وـعـدـمـ الشـكـوىـ وـالـشـكـرـ عـلـىـ كـلـ حـالـ،ـ هـيـ مـنـ صـفـاتـ الـمـؤـمـنـ الصـابـرـ الـمـُحـسـبـ:ـ قـالـ (ص)ـ:ـ "ـمـنـ كـنـوزـ الـبـرـ"ـ:ـ كـتـمـانـ الـمـصـائبـ،ـ وـالـأـمـراضـ،ـ وـالـمـدـقةـ"ـ.ـ وـوـصـفـ إـلـيـهـ عـافـيـتـهـ لـهـ فـيـ اـهـ،ـ بـقـولـهـ:ـ "ـوـكـانـ لـاـ يـشـكـوـ وـجـعاـ"ـ إـلـاـ عـنـدـ بـرـئـهـ"ـ.ـ أـيـ يـقـولـ كـنـتـ أـعـانـيـ مـنـ مـرـضـ كـذـاـ،ـ لـكـنـهـ لـاـ يـشـتـكـيـ أـثـنـاءـ مـرـضـهـ.ـ وـفـيـ الـحـدـيـثـ الـقـدـسـيـ:ـ "ـمـنـ مـرـضـ نـلـاثـاـ"ـ (ـثـلـاثـةـ أـيـامـ)ـ فـلـمـ يـشـكـ إـلـىـ أـحـدـ مـنـ عـوـادـهـ،ـ أـبـدـلـتـهـ لـحـمـاـ خـيـرـاـ"ـ مـنـ لـحـمـهـ،ـ وـدـمـاـ خـيـرـاـ"ـ مـنـ دـمـهـ،ـ فـإـنـ عـافـيـتـهـ عـافـيـتـهـ وـلـاـ ذـنـبـ لـهـ،ـ وـإـنـ قـبـضـتـهـ قـبـضـتـهـ إـلـىـ رـحـمـتـيـ"ـ.ـ حـ-ـ أـمـاـ الدـعـاءـ إـلـىـ اـهـ وـطـلـبـ الـعـافـيـةـ مـنـهـ فـلـيـسـ شـكـوىـ،ـ بـلـ لـعـلـ"ـ مـنـ زـعـمـ اـهـ عـلـىـ إـلـيـسـانـ الـمـرـضـ أـنـ يـكـونـ مـرـضـهـ فـرـصـةـ لـتـوـطـيـدـ الـعـلـاقـةـ مـعـ اـهـ:ـ يـقـولـ إـلـيـهـ عـلـيـ (ع)ـ:ـ "ـمـنـ كـتـمـ وـجـعاـ"ـ أـمـاـبـهـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ عـنـ النـاسـ،ـ وـشـكـاـ إـلـىـ اـهـ،ـ كـانـ حـقـّـاـ عـلـىـ اـهـ أـنـ يـعـافـيـهـ مـنـهـ"ـ.ـ وـرـوـيـ عـنـ إـلـيـمـ الصـادـقـ (ع)ـ قـولـهـ:ـ "ـلـيـسـ الشـكـّـاـهـ أـنـ يـقـولـ الـرـجـلـ:ـ مـرـضـ الـبـارـحةـ،ـ أـوـ وـعـكـتـ الـبـارـحةـ،ـ وـلـكـنـ"ـ الشـكـاـيـهـ أـنـ يـقـولـ:ـ بـلـيـتـ بـمـاـ لـمـ يـُـلـيـ بـهـ أـحـدـ"ـ.ـ خـ-ـ زـيـارـةـ الـمـرـضـ وـعـيـادـتـهـ،ـ لـأـنـهـ ذـلـكـ مـمـاـ يـُـخـفـ فـآـلـاـمـهـ،ـ وـيـحـسـسـهـ تـعـاطـفـ الـآـخـرـينـ مـعـهـ،ـ وـيـدـخـلـ بـرـدـ الـعـافـيـةـ عـلـىـ نـفـسـيـتـهـ التـيـ تـنـعـكـسـ بـدـورـهـاـ عـلـىـ صـحـتـهـ الـجـسـديـةـ:ـ قـالـ رـسـولـ اـهـ (ص)ـ:ـ "ـعـائـدـ"ـ الـمـرـضـ يـخـوضـ فـيـ الرـحـمـةـ"ـ.ـ وـعـنـهـ (ص)ـ:ـ "ـإـنـ اـهـ عـزـ"ـ وـجـلـ يـقـولـ يـوـمـ الـقيـامـةـ:ـ يـاـ بـنـ آـدـمـ،ـ مـرـضـ فـلـمـ تـعـدـنـيـ،ـ قـالـ:ـ يـاـ رـبـ كـيـفـ أـعـودـكـ وـأـنـتـ رـبـ الـعـالـمـينـ؟ـ!ـ قـالـ:ـ أـمـاـ عـلـمـتـ أـنـ عـبـدـيـ فـلـانـاـ مـرـضـ فـلـمـ تـعـدـهـ؟ـ!ـ أـمـاـ عـلـمـتـ أـنـلـكـ لـوـ عـدـتـهـ لـوـجـدـتـنـيـ عـنـدـهـ؟ـ!ـ.ـ دـ.ـ إـلـتـزـامـ بـأـدـبـ الـعـيـادـةـ،ـ وـهـوـ تـخـيـفـ الـزـيـارـةـ لـثـلـاثـ تـنـقـلـ عـلـىـ الـمـرـضـ الـذـيـ يـحـتـاجـ إـلـىـ الـرـاحـةـ:ـ قـالـ (ص)ـ:ـ "ـخـيـرـ الـعـيـادـةـ أـخـفـ هـاـ"ـ.ـ وـعـنـهـ (ص)ـ:ـ "ـأـعـظـمـ الـعـيـادـةـ أـجـراـ"ـ أـخـفـ هـاـ"ـ.ـ إـلـاـ أـنـ يـكـونـ الـمـرـضـ يـحـبـ ذـلـكـ وـيـرـيدـهـ وـيـسـأـلـهـ فـلـاـ بـأـسـ.ـ وـمـنـهـ الـعـودـةـ إـلـىـ زـيـارـتـهـ إـذـاـ طـالـ مـرـضـهـ:ـ قـالـ (ص)ـ:ـ "ـأـغـدـوـاـ فـيـ الـعـيـادـةـ وـأـرـبـعـواـ"ـ.ـ أـيـ زـرـ الـمـرـضـ بـيـنـ حـيـنـ وـأـخـرـ،ـ كـلـ أـرـبـعـةـ أـيـامـ مـرـضـةـ.ـ وـأـنـ تـضـعـ يـدـكـ عـلـىـ ذـرـاعـهـ دـلـيلـ الـمـوـاسـاةـ وـالـتـعـاطـفـ وـالـرـحـمةـ بـهـ

والشفقة عليه: قال الإمام الصادق (ع): "تمام العيادة أن تضع يدك على ذراعه". وأن تهديه شيئاً يستريح إليه: فلقد استقبل (ع) جماعة يريدون زياره مريض، فقال لهم: "أين تريدون؟ فقالوا: نريدُ فلاناً نعوده. فقال: مع أحدكم تُفْسَحَة؟ أو سفرجلة؟ أو أترجّة؟ أو لعقة من طيبٍ، أو قطعة من عودٍ بخور؟ فقالوا: ما معنا شيء من هذا؟ فقال: أما تعلمون أنَّ المريض يستريح إلى كلِّ ما أدخل به عليه؟!". 3- الإحسان إلى (المريض) في الأدب: يرى (المُتنبِّي) أنَّ معالجة الحالة النفسية للمريض هي من الإحسان إليه، فيقول: يقولُ لي الطبيبُ أكلتَ شيئاً *** وداوْكَ في شَرَابِكَ والطعامِ وما في طبَّهِ أزَّيْ جَوادُ **** أصرَّ بجسمه طولُ الجَمامِ جواد: حسان. الجمام: الربط في مكان دون الحركة والنشاط والفاعلية. وكانت العرب تقول: "لكلِّ داءٍ دواءٌ". فمن الإحسان للمريض أن ندلُّه على الدواء الشافي: وكان أبو الطَّبِّ (أبقراط) يقول: "كلُّ مرضٍ معروف السبب، موجود الشفاء". ومن الإحسان إلى المريض تأميمه بالشفاء والعافية حتى ولو كان مرضه صعباً ومُتعذِّر العلاج: فلقد كان (الرازي) وهو خبير في الطبِّ، يقول: "ينبغي للطبيب أن يوهم المريض بالصحة، ويُرجيه بها، وإن كان غير واثقٍ بذلك، لأنَّ مراج الجسم تابع لمزاج النفس". ومن الإحسان إلى المريض بدنياً، القول له: "صحَّة الجسم في قلةِ الطعام"! ومن الإحسان إلى المريض نفسياً، القول له: "صحَّة النفس في قلةِ الآثام"! وفي فرنسا يُعلَّمون الناس هناك كيف يُحسنون إلى صحتهم، بقولهم، كما في أمثالهم: "حافظ على دفعِ رأسِكَ وقدميكَ، وسوفَ لن يتآذَّى الباقي". وفي كلِّ مكانٍ يقولون: "نم باكراً، وانهضْ باكراً، تكنْ مُعاافِ". ويقول (أحمد أمين) وهو ينظر إلى الوجه الآخر للأمراض والمصائب: "المصائبُ نفسها لا تخلو من وجهٍ جميل، وناحية رائعة، فهي ليست قُبحاً صرفاً، ولا شَقاءً خالصاً، بل كثيراً ما تكون بلسماً ودواءً، كما تكون جروحاً وداءً". وكان (أبو تمَّام) يستحضر قول الله تعالى في الفرج بعد الشدة، فيقول: وما من شدَّةٍ إِلَّا سَيَّأَتِي *** لها من بعدِ شدَّتها رَحَاءُ وكان (ابن حزم الأندلسي) يقول: "كلِّ مصيبةٍ تصيبني في مدرسة الدّهر ولا تقتلني، فهي قوّةٌ جديدةٌ لي". ولعلَّه اقتبسَ هذا المعنى من قول العرب قدِّما: "كُلُّ ضَرَبةٍ لا تكسر الظهر تقوِّيه"! 4- برنامج الإحسان إلى (المريض): 1- المريض يعجز عن القيام بحاجاته الإعتيادية، فمن الإحسان إليه إعانته عليها. 2- أن تسهر على راحة المريض، فهو قد يحتاجكَ في كلِّ وقتٍ من نهار أو ليل، فإذا كنتَ مُمرِّضَه أو معينه خفتَ من ألمه، وعجلَتَ من شفائه. 3- أن تلهج بالدّعاء له وأنتَ تسقيه الدّواء، أو أنتَ تلمس ذراعه، أو أنتَ تضع يدكَ على رأسه، أو أنتَ تنظر إليه بابتسمة حانية مشفوعة بالدعاء الحرّ. 4- أن تتردد عليه في الزيارة بين حينٍ وآخر حتّى يشعر بصدق تعاطفكَ معه، وأن لا تزوره زيارةً يتيمة. 5- أن تزرع في نفسه الأمل،

وأن تُقوّي معنوياًاته، وأن تروي له قصص الذين مرضوا أو أصيبوا من قبله وكيف تغلّبوا على مرضهم بالصبر والتحمّل والإنقطاع إلى الله. 6- أن توصي الطبيب والمُمرّضين بالمزيد من العناية به، وأن توصي المؤمنين بالدعاء له حتى من لا يعرفونه.